

تفسير البحر المحيط

@ 225 @ الوحي ، وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين : وهو آيات بينات تدل على صدق النبوة ، لأنه معجز بنظمه ، وهو حكمة وعلوم وشرائع . { إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا } ، حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم ، أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لأن تكونوا أهل بيته ، أو حيث جعل الكلام جامعاً بين الغرضين . انتهى . واتصال { وَاذْكُرْنَ } بما قبله يدل على أنه من البيت ، ومن لم يدخلهن قال : هي ابتداء مخاطبة . { وَاذْكُرْنَ } ، إما بمعنى احفظن وتذكرنه ، وإما اذكرنه لغيركن واروينه حتى ينقل . و { مِنْ آيَاتِ اللَّهِ } : هو القرآن ، وَالْحِكْمَةِ : هي ما كان من حديثه وسنته ، عليه الصلاة والسلام ، غير القرآن ، ويحتمل أن يكون وصفاً للآيات . وفي قوله : { لَطِيفًا } ، تليين ، وفي { خَبِيرًا } ، تحذير مّا . وقرأ زيد بن علي : ما تتلى بناء التأنيث ، والجمهور : بالياء . . . وروي أن نساءه عليه الصلاة والسلام ، قلن : يا رسول الله ، ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكرنا ؛ وقيل : السائلة أم سلمة . وقيل : لما نزل في نساءه ما نزل ، قال نساء المسلمين : فما نزل فينا شيء ، فنزلت : { إِنَّ اللَّهَ مُسْلِمٌ لِّمَنِ اتَّبَعْتَهُ } الآية ، وهذه الأوصاف العشرة تقدّم شرحها ، فبدأ أولاً بالانقياد الظاهر ، ثم بالتصديق ، ثم بالأوصاف التي بعدهما تندرج في الإسلام وهو الانقياد ، وفي الإيمان وهو التصديق ، ثم ختمها بخلة المراقبة وهي ذكر الله كثيراً . ولم يذكر لهذه الأوصاف متعلقاً إلا في قوله : { وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ } والذكرين الله كخبراً ، نص على متعلق الحفظ لكونه منزلة العقلاء ومركب الشهوة الغالبة ، وعلى متعلق الذكر بالاسم الأعظم ، وهو لفظ الله ، إذ هو العلم المحتوي على جميع أوصافه ، ليتذكر المسلم من تذكره ، وهو الله تعالى ، وحذف من الحافظات والذاكرات المفعول لدلالة ما تقدّم ، والتقدير : والحافظات والذاكرات . { أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ } : غلب الذكور ، فجمع الإناث معهم وأدرجهم في الضمير ، ولم يأت التركيب لهم ولهن . . .

{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَاقَهُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا }
أَنْ يَكُونُوا لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ . . .
قال الجمهور ، وابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وغيرهم : خطب الرسول لزيد زينب بنت جحش ، فأبت وقالت : لست بناكحة ، فقال : (بلى فأنكحيه فقد رضيته لك) ، فأبت ، فنزلت .
وذكر أنها وأخاها عبد الله كرها ذلك ، فلما نزلت الآية رضا . وقال ابن زيد : وهبت أم

كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أول امرأة وهبت للنبي صلى الله عليه وسلم (نفسها ، فقال : (قد قبلتك وزوجتك زيد بن حارثة) ، فسخطت هي وأخوها ، قالا : إنما أردناه فزوجنا عبده ، فنزلت ، والسبب الأول أصح . ومناسبة هذه الآية أنه لما ذكر تلك الأوصاف السابقة من الإسلام فما بعده ، عقب ذلك بما صدر من بعض المسلمين ، إذ أشار الرسول بأمر وقع منهم الإباء له ، فأنكر عليهم ، إذ طاعته ، عليه السلام ، من طاعة الله ، وأمره من أمره . .

و { الْخَيْرَةُ } : مصدر من تخير على غير قياس ، كالطيرة من تطير . وقرء : بسكون الياء ، ذكره عيسى بن سليمان . وقرأ الحرميان ، والعربيان ، وأبو جعفر ، وشيبة ، والأعرج ، وعيسى : أن تكون ، بتاء التانيث ؛ والكوفيون ، والحسن ، والأعمش ، والسلمي : بالياء . ولما كان قوله : { لِمُؤْمِنٍ وَلَا مٌؤْمِنَةٍ } {